

قصة قصيرة

في

انتظار

الصباح

ابو السيماء والبراق عم الجليل

يسطو الحزن عنيفا على ضحككتك . . . ويتمطط الألم الأسود فوق الأمل المنبسط على تقاسيم وجهك . . . تدك الأرض دكا في خطوات تبدو للناظر شريفة ومحبولة . . . ترتحف عينك من الرد المرحين ترى المكتبة غاصة بالمشتريين ، ويحتدم الصراع بداخلك في اللحظة التي ترتطم عينك بالألواح الصغيرة المكتوبة عليها «الطلق ممنوع والرزق على الله» يتحول الريق في فمك إلى حنظل . . . تشعر بقشعريرة برد تسري في جسدك ، سرعان ما تحدث خللا في دقات قلبك ، يبدأ العرق يتصبب من جبينك ، وتخترقك من جديد أسئلة اطفالك الملحاحة البريئة :

- بابا . . . متى ستشتري لنا اللوازم المدرسية؟

- غدا إن شاء الله .

ترميك زوجتك بنظرات حزينة أقرب الى العتاب الخفيف ، تطرق برأسك الى الأرض وأصابعك منغرزة في شعرك . تشعل سيجارة جافة كجيبك بعدما تنهالك على السرير ، وتسرح ممزقا في البحث عن أقل أمل . الليل الملوث بالخوف من الغد أشبه بالغثيان الذي يسببه الجوع ، هكذا يحدث حين تمد يدك الى جيبك بحثا عن درهين ثمن قهوة الصباح في انتظار أن يأتي صديق تسأله دينا من جديد . . . كأس قهوة الصباح والسجائر الرخيصة والأخبار الآتية من لبنان . . . الفان وخمسائة راحوا ضحية لمجزرة رهيبة بالأمس . . . تحتسي مع القهوة أحزان الشرق الكبرى . . . و . . . وتتخلص من حزن اللوازم المدرسية .

عينك تلتهمان بشراهة العناوين الكبيرة للصحف . . . تكدس جوفك بكتل دخان السجائر ، ووجهك يمتقع مع كل كلمة من خبر «القتل والهدم والاعتصاب . . . ولبنان اليتيم الوحيد ما يزال يستشهد ، و . . . وسيظل»

تفاجأ بتحية صباحية لصديق قديم من أيام الدراسة الابتدائية . . . ويحنكة وصبر ، تحول الامتقاع الجاثم على محياك الى ابتسامة رمزية جوفاء ، يجلس الى جانبك ، ويخوض معك في حديث كالقطران ، فهو ، يحدثك عن تعادل ليفربول المشرف ، وأرقام اللوطو ، وعن فيلم «فأر أمريكا» وبطلة شارلز نافور ، وعن زجاجة الويسكي التي شرهبا ليلا مع حبيبته والثلاث مائة درهم التي ناولها صباحا بعدما اعددها باكثر إن هي اقبلت في الغد ومعها واحدة اخرى لصديق له .

وكأي إنسان محتاج إلى دين ، تعرض عليه مشاكل الدخول المدرسي ، فيصغي اليك وعينه زائغتان مع كل واحدة تمر أمام المقهى . تطلب منه نقوداً على أن يستردها في نهاية الشهر ، كم هي قاتلة هذه اللحظة حين يجيبك أن ما كان عنده دفعه بالأمس لصيبة ، يعتذر بلباقة ، ويتركك متشرنقاً الى حد الاختناق مع احزان لبنان الصعبة وحزن اللوازم المدرسية .

دار الآداب

تقدم

مؤلفات الدكتورة

نوال السعدادي

- امر أتان في امرأة .
- موت الرجل الوحيد على الأرض .
- امرأة عند نقطة الصفر .
- اغنية الاطفال الدائرية .
- موت معالي الوزير سابقاً .
- الخيط وعين الحياة
- الخيط وعين الحياة
- الغائب
- كانت هي الاضعف
- مذكرات طيبة

منشورات دار الآداب - بيروت

ص . ب ٤١٢٣ - ١١

- عبث ... عبث ... خبث ... تفوق على أولاد الحرام .

تمسح المقهى بالفاتنة مرخية متعبة ، وفي الركن المقابل ترى صديقاً تعرفت عليه حديثاً ... تدلف نحوه ليعانق وجودك . يفرح ، وتخوضان في احداث لبنان والمنطقة العربية ... يحلل وأنت تعلق ، تشنخ الأعصاب وينزلق حديثكما من الهمس إلى الجهر ، يجلس اليكما ثالث ورابع فخامس والحلقة تكبر وتوسع ، وأنت وحدك تعيش الأزمة / القضية .

تنبته الى الساعة ، فاذا هي العاشرة والابناء سيذهبون الى المدرسة في العاشرة ، تفرد بصديقك خارج المقهى . تعرض عليه مساعدتك ، يعطيك ما تريد ، تهول الى المكتبة ، وتشتري اللوازم المدرسية .

- كتب ... كتب ، كتب ، دفاتر ، دفاتر ، دفاتر ، اقلام وغلافات ، منجرات ومسطرات ... الخ ...

تعود الى البيت ، تجد الأطفال يكون ويتظرون ، وعلى وجه الزوجة تطفو صفرة كأوراق شجر هذا الشهر المتناح ... تمسح دموعهم باللوازم المدرسية ، يفرحون ... والى ... الى المدرسة ينطلقون .

تشعل السيارة المتبقية في جييك ... تستمر في احتساء القهوة ، تشعر من جديد بقشعريرة برد في جسدك ، وبالخلل في دقات قلبك ، وبالرغبة في القيء ، تنادي زوجتك المهمة في غسل ملابس الأطفال ، تقبل لتجدك ملقى بلا حراك ، تضع يديها على أذنيها وتصيح ؟؟ .

في الهزيع الأخير من الليل ، تفتح عينيك وتسمع أنات كثيرة متداخلة ، تحاول الوقوف ، تسقط من السرير ، يسرع اليك المريض ، يسعفك ويعيدك الى السرير ، يقول :

- لا تتعب نفسك بالتفكير والكلام ... لا تأكل أي شيء ... ستجري لك عملية جراحية غداً أنت مريض بالمرارة .

تسأله عن احداث لبنان .. ينظر اليك برفق ... ويعمن في التفكير كما لو يتذكر شيئاً ضاع من سنين ...
يجيب :

- ريغان أرسل برقية الى بيغن ، يلتمس منه انسحاب الجيش الصهيوني من بيروت الغربية فقط .

يتسم المريض ابتسامة حزينة ذابلة جامدة صفراء ، تهز رأسك المنفوخ وتقول :

- حاضر ... سوف لن أتكلم ... وسأمتنع عن الأكل في انتظار الصباح ...

ابو الشياء البراق ع الجليل

مكناس - المغرب .